مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

إسهام مادة كتب المناقب حول المجالات المهمشة في إنجاز موسوعة "معلمة المغرب"

د. سماعيلي رشيد
دكتوراه في التاريخ الوسيط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – وجدة
جامعة محمد الأول – المملكة المغربية

مُلَخّص

يسعى هذا المقال إلى إبراز أهمية المصادر الدفينة -كتب المناقب أنموذجًا- في الكشف عن المجالات المهمشة (الهوامش)، التي أدارت لها المصادر التاريخية التقليدية ظهرها، بحكم أن منهجها في الكتابة التاريخية هو التركيز على التاريخ السياسي، وتاريخ البلاط التي احتضنت حواضر الملك أحداثه، وهو ما يتضح من خلال عناوين كتبها مثل: "جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس" ، و"الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" ، و"الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" وغيرها من المؤلفات، في غياب تام لحضور البوادي في عناوينها، وإن ذكرت في متونها فهي غالبًا تأتي في سياق ما هو سياسي (حرْكة، جمع الضرائب، مرور السلطان...) وفي ظل هذا الفراغ الحاصل في المصادر التاريخية على مستوى حضور الهوامش، أسهمت مادة كتب المناقب بشكل كبير في ملء هذا الفراغ من خلال تأليف موسوعة "معلمة المغرب" . فالباحث في المجالات المهمشة ملزم بالعودة إلى "المصادر الدفينة" منها كتب المناقب. كما يستنتج أن مادة كتب المناقب الغزيرة حول الجغرافية التاريخية أسهمت بشكل كبير في تأليف أجزاء "معلمة المغرب" ، حيث عاد المشاركون بالمعلمة إلى كتب المناقب في كثير من المرات، بعدما لم تسعفهم كتب التاريخ في تحديد بعض المجالات.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٦ أكتوبر ٢٠٢٣
تاريخ قبول النشر: ١١ نوفمبر ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

كتب المناقب؛ المجالات المهمشة؛ الهوامش؛ المصادر التاريخية التقليدية؛ موسوعة معلمة المغرب

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.346451

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

سماعيلي رشيد. "إسهام مادة كتب المناقب حول المجالات المهمشة في إنجاز موسوعة معلمة المغرب".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الثاني والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٣. ص ١١٤ – ١٢١.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: smmailirachh@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

إذا كان من أهداف "معلمة المغرب" تسجيل "المواقع القائمة والمندثرة من مدن وقرى وحصون وأسوار وأبواب وجوامع وزوايا في السهول والجبال والصحاري بأسمائها الأصلية ومعظمها باللسان الأمازيغي".[١] فهل استطاع المساهمون في "معلمة المغرب" توطين مجالات المغرب الأقصى دون العودة إلى مادة كتب المناقب الغزيرة في هذا المجال؟

ما دام أن المصادر التاريخية حبذت لنفسها الحديث عن حواضر الملك مثل فاس، ومراكش وغير ذلك، وهو ما يتضح من خلال بعض عناوينها مثل ما ألفّ عليّ ابن أبي زرع "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، وما دونه "علي الجزنائي" من خلال مؤلفه: "جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس"، وكتاب ابن الغازي الذي عنونه بـ: "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون". يبدو أن المؤرخ التقليدي كانت تحكمه منهجية مسبقة في تأليف كتبه، وهو ما أكدّه المؤرخ عبد الواحد المراكشي في قوله: "وقد نجز بحمد الله جميع هذا الإملاء حسب ما رسمه مولانا، وجريت في ذلك كله على عادتي في التلخيص، وتركت أسماء القرى والضِياع والأنهار الصغار وغير ذلك مما لا تدعو له الحاجة ولا يخل التصنيف تركه".[٢]

فإلى أي حدّ أسهمت مادة كتب المناقب في ملء البياض الحاصل في كتب التاريخ التي أدارت ظهرها لضواحي المدن والبوادي والضِياع والأنهار الصغار في إنجاز موسوعة "معلمة المغرب"؟

قبل الحديث مباشرة عن حضور مادة كتب المناقب حول الهوامش تجدر الإشارة إلى أنه اقتصرنا في مقالنا على بعض النماذج من كتب المناقب منها: "دعامة اليقين في زعامة المتقين" لأبي العباس العزفي (ت. ٦٣٣هـ)، وكتاب "المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد الصالح" لأحمد بن إبراهيم الماجري توفي ما بين سنتي سبع مائة (٧٠٠) وسبع مائة وعشرة (٧١٠) هجرية، وكتاب "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" لعبد الحق بن إسماعيل البادسي (كان حيا ٧٢٢هـ)، وكتاب "السلسل العذب والمنهل الأحلى المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى في سلك من تحلى سلكهم الأربعيني في الجيل جيل فاس ومكناسة وسلا" لمحمد بن أبي بكر الحضرمي قدمه هدية للسلطان المريني أبي بن فارس عبد العزيز بن أبي الحسن الأكحل (ت. ٧٤٤هـ).

أولاً: عالم البوادي من خلال كتاب "دعامة اليقين" للعزفي

سنستهل المقال بإشارة واردة في كتاب "المستفاد"، حيث جاء في ترجمة أبي عبد الله محمد بن الخير، أن صديقا له زاره بموضعه في جبل قفص بالقرب من مكناسة.[٣] قد ذهب محقق الكتاب إلى أن جبل قفص لم يرد في كتاب غير "المستفاد" الذي اطلع عليه.

أشار صاحب "دعامة اليقين" إلى بعض الزوّار الوافدين على أبي يعزى، ومنهم أبو محمد عبد الله بن يزيد من أَدْفَرْكالْ،[٤] وهو البلد الذي كان يحتضن رباط ماسة الذي تحدثت عنه المصادر التاريخية التقليدية في سياق الأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة وهي ثورة الدعي الماسي ببلاد سوس وتسمّى بالهادي،[٥] في حين غيبت ذكر اسم أدفركال. كما ذكر العزفي عبد الله الركراكي من ركراكة من سكان أرماس.[٦] وإذا عدنا إلى كتاب "أخبار البيذق" مثلاً نجد أنه ذكر ركراكة، لكن ذكرها جاء في سياق القتل والحرب والسياسة،[٧] في حين لم ترد أي إشارة عند "البيذق" لقرية أرماس. وفي إشارته لخطيب مصمودة ذكر بأنه من سكان وزان،[٨] وقد ذهب محقق الكتاب إلى أنها قد تكون أوّل إشارة إلى وزان في المصادر المكتوبة.[٩] في المقابل إذا تصفحنا معلمة المغرب،[١٠] نجد أن صاحب مادة "وزان" ذكر بأن تاريخها ارتبط بالزاوية التي تنسب إليها، والتي أسسها خلال النصف الأول من القرن السابع عشر الشريف العلمي مولاي عبد الله بن إبراهيم (ت. ١٦٧٨).

ثانيًا: عالم البوادي وجغرافية المقدس من خلال كتاب "المنهاج"

احتفظ كتاب "المنهاج" باسم جغرافي وهو موضع كان مشهورا يعرف بكرابن،[١١] وقد رجّح أحمد التوفيق إلى أن هذا الموضع كان بجهات إِمِي نْتَانُوتْ الحالية.[١٢] وربما موضع كرابن الذي أشار إليه مؤلف

"المنهاج" بالموضع الشهير في العصر الوسيط، قد اختفى واندثر في الوقت الحالي.

أما دمنات الواردة ضمن ترجمة الشيخ أبي تَالِيثْ الهسكوري،[١٣] أشار أحد الباحثين أن دمنات أول من ذكرها هو "البيدق"، ولم تذكر بعد ذلك إلا في كتب مناقب صلحاء العصر المريني التي كتبت حول أبي محمد صالح أو أبي يعزى.[١٤] إلى جانب دمنات، ما يضيفه صاحب "المنهاج" في هذا السياق هو موضع تُوغْرُودِينْ.[١٥] وفي حديثه عن بعض الزوار المتوجهين من دمنات إلى رباط آسفي أشار إلى أنهم مروا ببلد بني تَاتْمَصْمُشْتْ الواقع ببلاد ماجر.[١٦] فهل ذكرت المصادر التاريخية التقليدية مجال تَاتْمَصْمُشْتْ؟

وفي إحدى الزيارات التي قام بها الشيخ المترجم له ومريده، ذكر صاحب "المنهاج" أنهم قدموا من دكالة من "موضع يعرف بربوة الجودر وتعرف بلسان الرطانة تاوريرت مَازَاطْ".[١٧] وهي إشارات مهمة للباحث في موضوع "الطوبونيمية" أو "اللسان الأمازيغي".

من البوادي المذكورة كذلك في كتاب المنهاج نجد تِنْكَرْمَاطْ التابعة لأعمال سجلماسة.[١٨] فإذا كانت سجلماسة المدينة التاريخية العامرة اندرست، فكيف لقرية تِنْكَرْمَاطْ أن تستمر إلى يومنا هذا؟ ونبقى ضمن مجال سجلماسة حيث ذكر موضعا يعرف ببئر حسن.[١٩] قد يذكر المؤرخ هذا البئر في حالة ما مرت حركة السلطان به، وبالتالي يكون حضوره في سياق ما هو سياسي.

أخبرنا مؤلف "المنهاج" أنه حدثه أحد خدام الفقراء بموضع تادولا،[٢٠] حيث كان معه المؤلف "بموضع تَامْسَنْتْ من وادي ورزازات".[٢١] وأثناء ذكره لجنان قد زاره الشيخ أبو العباس حدد مجاله في أرض مسكيسة من وادي نفيس من أحواز مراكش،[٢٢] فيما يخص وادي نفيس فقد تكرر ذكره في العديد من المصادر التاريخية،[٢٣] أما أرض مسكيسة، "ربما" تم تهميشها من طرف المؤرخين التقليديين.

وخلال حديثه عن الشيخ يعقوب بن عيسى الصنهاجي ذكر بأنه يقطن من وادي دادس،[٢٤] وبناء على معطيات الباحث محمد حمام،[٢٥] الذي أشار إلى أن وادي دادس أول من ذكره هو أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق في كتابه "المقتبس"[٢٦] خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري، واستطرد قائلا: "بأن ثاني إشارة لوادي دادس وردت عند صاحب التشوف إلى رجال التصوف في ترجمته لأبي بكر ابن ملول الصنهاجي الأسود".[٢٧] ليضيف "باستثناء هذه الإشارات القليلة فإن مختلف المصادر التاريخية سكتت عن وادي دادس وتاريخه".

أما جغرافية المقدس الواردة ضمن كتاب "المنهاج" نجد مسجد تَامْرُونْتْ.[٢٨] وفي سياق مشاركة الباحث عبد الرحيم العطاوي بمادة "تَامْرُونْتْ" قال: "كان هذا الموضع الوارد ذكره في المنهاج الواضح موجودا بالقرب من الموقع الحالي لضريح الشيخ أبي محمد صالح وقد اندثر الآن ولم يبق له أثر".[٢٩] كما نجد زاوية بني دغوغ،[٣٠] وعند إسهام صاحب مادة "بني دغوغ" نوه بكتب المناقب خصوصا كتاب "التشوف" حيث قال: "ورد ذكرها (بني دغوغ) عند الكثير من المؤلفين، وعلى الخصوص عند ابن الزيات".[٣١] كما نجد رباط أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الكبير ببلاد متيجة،[٣٢] ومسجد الزرقون الواقع بين رجراجة وحاحة على ساحل البحر.[٣٣]

ثالثًا: عالم البوادي من خلال كتاب "المقصد الشريف" للبادسي

لما كان ابن خلدون بصدد الحديث عن نواحي بادس وصف أبو يعقوب البادسي بأنه من أكبر الأولياء، وعندما أراد تحديد مجال مرنيسة قال: "فلا يعلم لهم موطن"،[٣٤] لكن عبد الحق إسماعيل البادسي باعتباره ينتمي إلى كورة الريف، ذكر ضمن ترجمة محمد الشريف أن "رجلا يعرف بابن تافيلالت من سكان أصبات من حوز مرنيسة".[٣٥] وظف صاحب "المقصد" الحوز، أي أنه على دراية بحدود مجال مرنيسة، في حين ابن خلدون باعتباره لا ينتمي إلى جهة الريف، وكان يكتب من قلعة بني سلامة بالمغرب الأوسط، لذلك لم يستطع توطين مرنيسة. قد أشار عبد الوهاب بن منصور إلى مرنيسة بأنها قبيلة شهيرة تحمل الاسم نفسه مستقرة شمال إقليم تازى من المغرب الأقصى.[٣٦]

حينما ترجم صاحب "المقصد" لمركاب ابن عيسى، أشار إلى أن "سكناه بعقبة تَابَلَّخَاشْتْ من بلد بني بلند، وهي العقبة العظمى الحاجزة ما بين بلدي بلند وتمسمان".[٣٧] لكن نجد خليل شحادة لما حقق أجزاء "العبر" لكونه مشرقي، أخطأ في ضبط كثير من الأسماء.

في إشارة لابن خلدون حول ملوك نكور ودولتهم في غمارة، ورد في تحقيق خليل شحادة تكسامان،[٣٨] بدل تمسمان. وفي مساهمة الباحث حسن الفيكيكي بمادة تمسمان ضمن "معلمة المغرب" اعتمد على كتاب "المقصد الشريف" كمصدر أساسي من بين المصادر التي عاد إليها.[٣٩] ولما ترجم صاحب "المقصد" للحاج إبراهيم ذكر أنه دفن بموضع من تمسمان يعرف بِبُورُوجَنْ،[٤٠] تمسمان نجد لها حضورا في المصادر التاريخية، لكن بواديها ومقابرها ظلت من المجالات المغيبة، ما عدا ما تجود به بعض "المصادر الدفينة".

في سياق حديث البادسي عن إحدى أسفار الولي سيدي محمد نحو بلاد الغرب، أشار إلى أنه مرّ "بفج العروس"، وحدد مجاله بأنه يوجد في آخر "بلاد بطوية وأول بلاد كزناية".[٤١] هل الأمر يتعلق بأن صاحب "المقصد" أول من ذكر هذا الممر الجبلي في الريف باسم فج العروس؟ علما أنه اليوم يحمل اسم تِيزِي أُوسْلِي.[٤٢]

اعتمد الباحث محمد بن عزوز حكيم على كتب المناقب لمساهمته بمادتي ترغة[٤٣] وبني توزين[٤٤] ضمن "معلمة المغرب"، حيث وضع كتاب "المقصد الشريف" ترتيبيا في بداية قائمة مصادره المعتمدة ليتبعه "بنزهة المشتاق" و"وصف إفريقيا".

ورد ضمن ترجمة الشيخ علي بن ماخوخ التوزيني أن بلده بتسَفْتْ على عشرين ميلا من المزمة.[٤٥] لما عرّف حسن الفيكيكي بتاسفت، اعتمد على مصدرين اثنين من العصر الوسيط هما للبكري والبادسي.[٤٦] ومازالت زاوية الشيخ المترجم له قائمة إلى يومنا هذا بتاسفت، وتعني بالأمازيغية شجرة البلوط.[٤٧]

ذكر البادسي في ترجمة الشيخ زكرياء بن يحيى أنه يسكن بقرية تِيقِيتْ،[٤٨] وفي هذا السياق يشير أحد الباحثين أنه خلال القرن الماضي كانت قرية تيقيت لا تزال بالموطن الأصلي المعين لها من طرف البادسي.[٤٩] وحينما ترجم صاحب "المقصد" لأحمد ابن سوسان ذكر أنه من "سكان بوسكور بينه وبين المزمة أربعة فراسخ".[٥٠] هذا الموقع أطلق عليه الشريف الإدريسي اسم بوزكور،[٥١] في حين أن الاسم الصحيح هو الوارد في كتاب "المقصد الشريف" أي بوسكور وهو المتداول حاليًا.[٥٢]

من البوادي كذلك المذكورة ضمن كتب المناقب نجد قرية بني يفراسن،[٥٣] وهي قرية من قبيلة بقوية مازالت حاليا معروفة بأفراس،[٥٤] وقد أنجبت هذه القرية متصوفين خلال القرن السادس الهجري وهما يحيى بن مخلوف اليفريسني،[٥٥] ثم عبدون بن يخلفن بن علي اليفراسني.[٥٦]

كما نجد ضمن كتب المناقب قرية ترغة[٥٧]. عاد صاحب مادة "ترغة" إلى معلومات كتاب "المقصد الشريف"،[٥٨] وعدّها صاحب "روض القرطاس" من المدن،[٥٩] وهي حاليا قرية توجد على شاطئ البحر من شرقي تطوان تبعد عنها ب ٦٠ كيلومتر.

جاء في ترجمة إبراهيم البطّال أنه "من قبيلة كبدانة من حوز واد ملوية، كان يتردد على بلاد القلاع (قلعية)، من جهة مليلية، وكدية غصاصة".[٦٠] كانت (كدية غَسَاسة) من أهم المرافئ التجارية خلال العصر الوسيط، وهذه الإشارات حول الجغرافية التاريخية هي نفسها التي اعتمدها صاحب كتاب "قبائل المغرب".[٦١] نبقى ضمن نفس الترجمة حيث يذكر أن الشيخ إبراهيم مرّ في إحدى أسفاره بإِزَغْرانْ أُورِيغْ، وحدد جغرافيتها بأنها "مفازة عظيمة ما بين مليلية وكبدانة"،[٦٢] وذكر أحد الباحثين بأن صاحب "المقصد الشريف" هو أول من أشار إلى إِزَغْرَانْ أُورِيغْ، وهي التي تحمل في يومنا هذا اسم "سهب بوعرك"[٦٣] (إقليم ناظور).

في حديث البادسي عن رجوع الشيخ أبي داوود من تلمسان إلى الريف، أشار إلى أنه استقر "بداره المعروفة بأفلاس آخر ساحل ثغلال"،[٦٤] واعتمد صاحب مادة "ثغلال" بشكل كبير على الكتب المنقبية، حيث أنهى فقرته ب "كما ذكره عبد الحق البادسي في المقصد".[٦٥]

جاء في ترجمة أبي داوود مزاحم تحديداً دقيقًا لموقع بطوية، فهم "من وادي نكور، من حوز المزمة إلى وادي ملوية".[٦٦] اكتفى ابن حوقل بإدراجها ضمن قبائل زناتة،[٦٧] نفس التحديد نجده عند صاحب "روضة النسرين".[٦٨] حدد ابن خلدون مجال بطوية بقوله: "وبطوية منهم ثلاثة بطون: بقوية على تازة، وبني وريا غل على واد المزمة، وأولاد علي بتافرسيت"،[٦٩] لكن يرى أحد الباحثين أن أحسن تعبير عن حدود بلاد بطوية هو الذي قدمه عبد الحق البادسي "إذ جعلها ممتدة من جهة الغرب من حوز المزمة الذي شمل آنذاك كل من بقوية وبني وريا غل إلى مصب واد ملوية عند مشارف شرق جبال كبدانة".[٧٠]

في حديث صاحب "المقصد" عن الشيخ أبي الطّاهر، ذكر أنه وقف يومًا بمقربة من الجبل الكبير الذي ببلاده ببقوية بمقربة من عنصر أولاد علي المعروف بأبي بعل.[٧١] فقد ذكر الحسن الوزان[٧٢] جبل بقوية، لكن ما انفرد به البادسي ربما هو ذكره عنصر أولاد علي المعروف بأبي بعل.[٧٣] ما يزيد من أهميته كتاب "المقصد"، أن أحد الباحثين الذين أسهم بمادة "بقوية" اعتمد على البادسي بشكل كبير، حيث اقتبس من كتاب "المقصد" خمسة اقتباسات، في حين اعتمد على اقتباس واحد من كتاب "وصف إفريقيا".[٧٤]

اعتمدت الباحثة التي عرَّفت بمادة "بادس" بشكل كبير على كتب المناقب، وهو ما نلمسه في قولها: "لدينا وثيقتان يرجع عهدهما إلى القرون الوسطى، وتتعلق ببادس وكلتاهما تتمحور حول المناقب".[٧٥]

عندما زار السيد "دافيد غرين" القائم بأعمال لدى السفارة الأمريكية بالرباط جهة الحسيمة، زار بعض مواقعها، وعنونت جريدة "دليل الريف"[٧٦] مقالا لهذه الزيارة ب"القائم بأعمال السفارة الأمريكية يزور قلعة طوريس"، ولم يأت في المقال ولو مرة واحدة الإشارة إلى اسمها الحقيقي الوارد في "المقصد الشريف" وهو قلعة صنهاجة.[٧٧] هل تستحق هذه الجريدة أن تكون دليلاً للريف؟ وأين يتجلى هذا الدليل الذي يطمس هوية الريف بشكل خاص والمغرب الأقصى بشكل عام؟ كان على الجريدة أن تسهم بأقلامها في إعادة الاعتبار للأسماء التاريخية التي هي من إنتاج ذهنية أجدادنا، بدل الانسياق وراء الأسماء الدخيلة. فاسم قلعة صنهاجة وارد في كتاب "المقصد الشريف" الذي كان صاحبه حيا سنة ٧٢٢ه، في حين أرجعت جريدة "دليل الريف" بنائها إلى البرتغاليين في القرن الخامس عشر ميلادي.

بيان الصواب والخطأ من خلال مقارنة بين كتاب "العبر" الجزء السادس تحقيق خليل شحادة وكتاب "المقصد الشريف للبادسي".

سنوضح من خلال هذا الجدول بعض أخطاء أسماء الأماكن الجغرافية الواردة ضمن الجزء السادس من "العبر" لابن خلدون، الذي حققه خليل شحادة، ومقارنتها مع ما جاء ضمن كتاب "المقصد الشريف" للبادسي:

"العبر"، ج.٦، ابن خلدون	"المقصد" البادسي
بوطة، ج.٦، ص١٥٢	بطوية، ص51
تكسمان، ج.٦، ص٢٨٥ , ٢٨٤ , ٢٨٣.	تمسمان، ص٥٦
كزنارية، ج.٨، ص٢٨٤	كزناية، ص٨٨
تيكيباس، ج.٦، ص٢٨٩	تجيساس، ص١١١
اعتبر نكور هي المزمة ج.٦، ٢٨٤	نكور ليست هي المزمة ص٥١
وظف الاسم القديم "قلوع جارة" ج.٦، ٢٨٣	وظف الاسم الجديد القلاع (قلعية) ص١٤١
بنو تطوفت، ج.٦، ص ١٥٠	بنو يطفت، ص١٢٥
أخطأ في مصب نهر ملوية حيث ذكر بأنه يصب في غساسة ج.٦، ص١٣٣	ص١٤١
بني سنس، ج.٦، ص١٩٩	بني يستيش، ص٨٥

يتبين من خلال هذه الإشارات الواردة في الجدول، أن مادة المعجم الجغرافي التي يتضمنها الجزء السادس من "العبر" لابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، إذا ما قارنها بالمعجم الجغرافي الواردة بكتاب "المقصد الشريف" للبادسي، أن صاحب "المقصد" تفوق في كثير من الأحيان على المؤرخ ابن خلدون، ومحقق كتابه في تحديد قبائل الريف "تحديدا دقيقا"، فابن خلدون يبدو أنه اعتمد في تأليفه على الرواية الشفوية، في حين البادسي باعتباره ابن المنطقة تمكن من ضبط مجاله.

رابعًا: عالم البوادي والأزقة والدروب من خلال كتاب "السلسل العذب" للحضرمي

أخبرنا صاحب "السلسل العذب" في إحدى تراجمه أن شخصًا كان متعبدًا بجامع الزيتونة من داخل باب الفتوح،[٧٨] فباب الفتوح وارد في مجموعة من المصادر التاريخية، في حين أن جامع الزيتونة المتعارف عليه هو بإفريقية (تونس)، وليس بباب الفتوح بفاس. هل الأمر يتعلق بمسجد اندثر بفاس؟

لما ترجم للشيخ مبارك فاصكاه قال: "بأن أصله من قرية بظاهر سلا يقال لها أقرميم".[٧٩] ذُكرت مدينة سلا أكثر من اثنين وثلاثين مرة في كتاب "البيان المغرب"،[٨٠] وبكتاب أخبار المهدي للبيذق[٨١] أكثر من إحدى عشر مرة، لكن قرية أقرميم لم تتم الإشارة إليها، فذكرها عند المؤرخين التقليديين كان يستدعي بالضرورة حدث سياسي يقع بهذه القرية مثل جمع الضرائب، أو التمرد، أو حركة السلطان بها، غير ذلك فهي تبقى من المجالات المهمشة في نظرهم. أما الشيخ أبو محمد الحسين الأبله فيذكر أن "أصله من ظاهر سلا من موضع يقال له أسمير".[٨٢] ويحد صاحب "نزهة المشتاق" موضع سلا على ضفة نهر أسمير،[٨٣] أي أنه يطلق أسمير على واد أبي رقراق، في حين صاحب "السلسل" حدد أسمير بموضع بضاحية سلا وليس نهر.

كما حدد سكنى أبي الربيع سليمان بجهة يقال لها عيون الكرازين.[٨٤] وردت عند صاحب "روض القرطاس" بعيون الكوازين،[٨٥] وذكرت عند صاحب كتاب "فوائد من كناش للعارف بالله الشيخ أحمد زروق"[٨٦] باسم عيون الكرازين وليس الكوازين، وهو كتاب من الكتب التي تندرج ضمن خانة كتب المناقب. وحين ترجم لأبي محمد عبد الله بن مخلوف والحجاج يوسف الجابري أشار بأنهما ينحدران من بادية سلا.[٨٧] فالمؤرخ التقليدي مثلاً يذكر فاس ومراكش وسلا، لكن بواديها لا يذكرها إلا إذا تعلق الأمر بحدث سياسي.

من الأزقة والدروب الواردة ضمن كتاب "السلسل" نجد غدير الجوزة،[٨٨] وهي زنقة بفاس لم ترد بكتاب "بيوتات فاس" ولا "روض القرطاس"، إضافة إلى ذكره "لدرب الفرات من الجهة بإزاء باب معلقة من سلا".[٨٩] فهل ستسعفنا المصادر التاريخية التقليدية بذكر الأزقة والدروب لمن أراد التجوال فيها؟

خَاتِمَةٌ

من خلال ما سبق، يتبين أن الباحث في المجالات المهمشة ملزم بالعودة إلى "المصادر الدفينة" منها كتب المناقب. كما يستنتج أن مادة كتب المناقب الغزيرة حول الجغرافية التاريخية أسهمت بشكل كبير في تأليف أجزاء "معلمة المغرب"، حيث عاد المشاركون بالمعلمة إلى كتب المناقب في كثير من المرات، بعدما لم تسعفهم كتب التاريخ في تحديد بعض المجالات، لما "توليه" كتب المناقب من "أهمية للمجال"، ولما حرصت لجنة تحرير "معلمة المغرب" على وضع لائحة البيبلوغرافيا عنونت ذلك "بأهم المصادر والمراجع المحال عليها"، أدرجت ضمن هذه اللائحة "المهمة" كتب المناقب المؤلفة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، علمًا أن النصوص المناقبية لم تمدهم بمعطيات حول المجال وفقط، بقدر ما قدمت لهم معلومات حول الأسر وبعض البيوتات المشهورة والأشخاص. فلولا ما قدمته كتب المناقب من معلومات حول مجالات المغرب الأقصى، لا استحال على المشاركين في "معلمة المغرب" الإسهام ببعض موادها.

الإحالات المرجعية:

(١) مجموعة مؤلفين. **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.١، مطابع سلا، ١٩٨٩، ص٩.

(٢) عبد الواحد بن علي المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**. تح خليل عمران المنصور، ط.٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٧٣.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي، **المستفاد في مناقب العُبَّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**. جزآن، تحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب، تطوان، ط.١، مطبعة طوب بريس، الرباط، ٢٠٠٢، ج.٢، ص١٢١.

(٤) أبو العباس العزفي، **دعامة اليقين في زعامة المتقين مناقب الشيخ أبي يعزى**. تح أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٩، ص٥٥.

(٥) ابن عذاري المراكشي، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين**. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامة، ط.١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥، ص.٣.

(٦) العزفي، **دعامة اليقين. م.س**، ص٥٦.

(٧) أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١، صص.٦٧,٧٠.

(٨) العزفي، **دعامة اليقين**. م.س، ص٥٩.

(٩) **المصدر نفسه**، ص٥٩.

(١٠) محمد المنصور، "**مادة وزان**". ضمن **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.٢٢، مطابع سلا، ٢٠٠٠، ص٧٥٨٣.

(١١) أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**. جزآن، تح عبد السلام السعيدي، ط.١، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠١٣، ج.٢، ص٥٥١

(١٢) أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**. تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط.٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص١١٥.

(١٣) أحمد بن إبراهيم الماجري، **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح**. جزآن، تح عبد السلام السعيدي، ط.١، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠١٣، ج.٢، ص٥٨٤.

(١٤) أحمد التوفيق، مادة "**دمنات**". ضمن **معلمة المغرب**. م.٢٣، ج.١٢، مطابع سلا، ٢٠٠٠.ص٤٠٧٩.

(١٥) الماجري، **المنهاج الواضح**. م.س، ج.٢، ص٥٨٤. توغرودين: اسم أمازيغي يعني المكان المرتفع غير الحاد.

(١٦) **المصدر نفسه**، ص٥٩٧.

(١٧) **المصدر نفسه**، ص٦٢٥. تعني تاوريرت بالأمازيغية الكدية، وصاحب النص يتحدث هنا عن "تاوريرت مازاط" كانت تابعة لمجال دكالة.

(١٨) **المصدر نفسه**، ص٤٧٧.

(١٩) الماجري، **المنهاج الواضح**. م.س، ج.١، ص٣١٨.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ص٣١٦.

(٢١) **المكان نفسه**.

(٢٢) **المصدر نفسه**، ص٣٢٢.

(٢٣) يُنظر مثلاً: علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**. دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢، ص٦٦.

(٢٤) الماجري، **المنهاج الواضح**. م.س، ج.١، ص٣١٧.

(٢٥) محمد حمام، مادة "**وادي دادس**". ضمن **معلمة المغرب**. م.س، م.١٢، ص١٠٣٩.

(٢٦) أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**. تح عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١، ص٥٥.

(٢٧) ابن الزيات التادلي، **التشوف**. م.س، ص٤١٣.

(٢٨) الماجري، **المنهاج الواضح**. م.س، ج.٢، ص٥٧١.

(٢٩) عبد الرحيم العطاوي، مادة "**تامرونت**". ضمن **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.٧، مطابع سلا، ١٩٩٥، ص٢١٧٨.

(٣٠) الماجري، **المنهاج الواضح**. م.س، ج.٢، ص٥٧٩.

(٣١) محمد الشياظمي، مادة "**الدغوغيون**". ضمن معلمة المغرب، م.س، ج.١٢، ص٤٠٤٧. ابن الزيات التادلي، **التشوف**. م.س، ص٤١٣.

(٣٢) الماجري، **المنهاج الواضح**. م.س، ج.٢، ص٥٩٢.

(٣٣) **المصدر نفسه**، ص٥٢٧.

(٣٤) عبد الرحمن بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ٨ أجزاء، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ج.٦، ص١٥٢.

(٣٥) عبد الحق بن إسماعيل البادسي، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**. تحقيق سعيد أعراب، ط.٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٣، ص١٤٤.

(٣٦) عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**. المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨، ص٣٠٦.

(٣٧) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص٥٦.

(٣٨) ابن خلدون، **العبر**. م.س، ج.٦، ص٢٨٣.

(٣٩) حسن الفيكيكي، مادة "**تمسمان**". ضمن **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.٨، مطابع سلا، ١٩٩٦، ص٢٥٤٣.

(٤٠) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص٦٢.

(٤١) المصدر **نفسه**، ص٨٨.

(٤٢) عبد القادر بوراس، مادة "**تيزي أوسلي**". ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٨، ص٢٦٨٥.

(٤٣) محمد ابن عزوز حكيم، مادة "**ترغة**". ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٧، ص٢٣٢٦.

(٤٤) محمد ابن عزوز حكيم، مادة "**بني توزين**". ضمن **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.٥، مطابع سلا، ١٩٩٢، ص١٥١٧.

(٤٥) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص١١٤.

(٤٦) حسن الفيكيكي، مادة "**تاسافت**". ضمن **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.٦، مطابع سلا، ١٩٩٢، ص٢٠٥٤.

(٤٧) حسن الفيكيكي، **أطلس الريف الشرقي: مباحث في الجغرافية التاريخي**. ط.١، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠١٤، ص٢٧.

(٤٨) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص.١٢.

(٤٩) حسن الفيكيكي، مادة "**تيقيت**". ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٨، ص٢٧٢٨.

(٥٠) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص١٢١.

(٥١) الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**. ٢ مجلدات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢، م.١، ص١١١.

(٥٢) محمد ابن عزوز حكيم، مادة **"بوسكور"**. ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٥، ص١٧١٩. قد تكون هذه الإشارات مهمة للباحث في اللسانيات التاريخية.

(٥٣) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص١٢٨.

(٥٤) حسن الفيكيكي، مادة بني **"يفراسن"**. ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٥، ص١٦٠٢.

(٥٥) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص١٢٢

(٥٦) **المصدر نفسه**، ص١٢٨.

(٥٧) **المصدر نفسه**، صص.١٣,٩٨,٧٠١.

(٥٨) محمد ابن عزوز حكيم، مادة **"ترغة"**. ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٧، ص٢٣٢٦.

(٥٩) علي ابن أبي زرع، **روض القرطاس**. م.س، ص٥١.

(٦٠) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص١٤١.

(٦١) عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**. م.س، ص٣٠٧.

(٦٢) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص١٤١.

(٦٣) حسن الفيكيكي، **أطلس الريف الشرقي**. م.س، ص٣٤٧.

(٦٤) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص٥١.

(٦٥) حسن الفيكيكي، مادة **"تيغلال"**. ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٨، ص٢٧١٥.

(٦٦) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص٥١.

(٦٧) ابن حوقل، **صورة الأرض**. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ص١٠٢.

(٦٨) إسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**. المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٢، ص.١.

(٦٩) ابن خلدون، **العبر**. م.س، ج.٦، ص٢٧٤.

(٧٠) حسن الفيكيكي، مادة **"بطوية"**. ضمن **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.٤، مطابع سلا، ص١٢٧١.

(٧١) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص٩١.

(٧٢) حسن الوزان، **وصف إفريقيا**. جزآن، ترجمة محمد حجي، محمد الخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط. ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨، ج.١، ص.٣٣.

(٧٣) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص٩١.

(٧٤) محمد ابن عزوز حكيم، مادة "**بقوية**". ضمن **معلمة المغرب**. م.س، ج.٤، ص١٣٠٤.

(٧٥) حليمة فرحات، مادة **"بادس"**. ضمن **معلمة المغرب**. ٢٣.م، ج.٣، مطابع سلا، ص٩٦٦.

(76) https://dalil-rif.com/permalink/27148.html

(٧٧) عبد الحق البادسي، **المقصد الشريف**. م.س، ص٩٥.

(٧٨) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي، **السلسل العذب والمنهل الأحلى المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى في سلك من تحلى سلكهم الأربعيني في الجيل جيل فاس ومكناسة وسلا**. تحقيق محمد الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، م.١، ج.١، ١٩٦٤، ص٥٦.

(٧٩) **المصدر نفسه**، ص.٧.

(٨٠) ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب قسم الموحدين**. م.س، ص١٣٦,٨٣,٧٩,٧٥,٧٢,٦٢,٥١,٤٩,٤٥,٤٤,٤٣,٣٧,٢٦,٢٥,٢٤.

(٨١) أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**. دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١. صص٨٣,٨١,٧٩,٧٨,٧٦,٧٣,٦٨,٦٧,٦٣,٢٦,٢٥.

(٨٢) الحضرمي، **السلسل العذب**. م.س، ص٧١.

(٨٣) الإدريسي، **نزهة المشتاق**. م.س، ص٢٣٩.

(٨٤) الحضرمي، **السلسل العذب**. م.س، ص٨٢.

(٨٥) علي ابن أبي زرع، **روض القرطاس**. م.س، ص٦٦.

(٨٦) أحمد زروق، **فوائد من كناش للعارف بالله تعالى أحمد زروق**. تح محمد إدريس طيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ص٨٣.

(٨٧) الحضرمي، **السلسل العذب**. م.س، صص٨٩,٩٤. ينظر الماجري، المنهاج **الواضح**. م.س، ج.٢، ص٦١٨. "لو خرجت إلى البادية فإن البادية صحيحة والبلد معفنة". خلال الحجر الصحي "بكورونا" انتقلت مجموعة من الأسر بمدينة العيون سيدي ملوك إقليم تاوريرت (المملكة المغربية) إلى بواديهم حيث سلامة الهواء والبعد عن عدوى الأمراض.

(٨٨) **المصدر نفسه**، ص٨٣.

(٨٩) **المصدر نفسه**، ص٤١.